المحاضرة الثانية:

المحسنات اللفظية في البلاغة العربية:

الطباق – المقابلة – الجناس

محاور المحاضرة:

1-تمهيد: (في علم البديع).

2-أقسام البديع.

3-من أهم المحسنات اللفظية في البلاغة العربية.

أولا: الطباق والمقابلة.

ثانيا: الجناس.

<u>1-تمهيد: (في علم البديع):</u>

كلمة بديع جاءت على وزن "فَعِيل" من الفعل "بَدَعَ"، وهذا الفعل له معان متعددة في المعجمات العربية، منها: "بدع الشيء يبدعه بدعا وابتدعه: أنشأه وبدأه، وبدع الركية: استنبطها وأحدثها، وابتدعت الشيء: اخترعته"، ومنه أيضا: البديع: المحدث العجيب، وحبل بديع: جديد. لهذا فإن لكلمة البديع لغة ثلاثة معان متقاربة تستمد مفاهيمها من: الاختراع، والحداثة، والجدّة في أمور مادية ومعنوية.

أما بالنظر إلى جانب الاصطلاح، فإن الجاحظ (ت 255هـ) يذكر أن الرواة هم الذين أطلقوا مصطلح البديع أول مرة على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية وعلى بعض الصور البيانية التي يأتي بها الشعراء في أشعارهم فتزيدها حسنا وجمالا. لهذا ينسب مصطلح البديع إلى الرواة والباحثين من النقاد والبلاغيين واللغويين في أوائل القرن الثالث للهجرة، ليدلوا على ما اتصف به الشعراء المولدون من أمثال كلثوم بن عمرو ومنصور النمري وبشار بن برد ومسلم بن الوليد وأبي تمام، الذين أكثروا من الأساليب البيانية في قصائدهم، وأفرطوا فيما زيّنها من المحاسن والمُلح، إلى حدّ الصّنعة.

<u>2-أقسام البديع:</u> يجمع البلاغيون أن علم البديع ينقسم إلى قسمين اثنين:

أولا: قسم يرجع إلى اللفظ وهو ما يعرف بالمحسنات اللفظية.

ثانيا: قسم يرجع إلى المعنى وهو ما يعرف بالمحسنات المعنوية.

3-من أهم المحسنات اللفظية في البلاغة العربية:

أولا: الطباق والمقابلة:

1-مفهوم الطباق:

أ/ لغة: يقال له الطباق والطبق والمطابقة والتطبيق، ويقال: "طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد"، وقيل بل هو في اللغة "أن يضع البعير رجله في موضع يده فإذا فعل ذلك قيل طابق البعير"، وقال الأصمعي: "المطابقة أصلها وضع الرجل موضع اليد في مشي ذوات الأربع".

ب/ اصطلاحا: الطباق اصطلاحا هو الجمع بين الضدين في كلام أو بيت شعر، نحو: الليل والنهار، والبياض والسواد.

2-أنواع الطباق: قسم البلاغيون الطباق إلى فئتين اثنتين:

أولا: على أساس الاثبات والنفي.

ثانيا: على أساس نوع اللفظين المتضادين.

2-أولا: أنواع الطباق على أساس الاثبات والنفي: وينقسم إلى نوعين هما:

2-أولا-1-طباق إيجاب: وهو الجمع بين لفظين مثبتين متضادين، مثل: لفظة "أيقاظ" و "رقود" في قوله تعالى: "وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ". وبين "الليل" و "النهار" في قوله تعالى: " يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ".

2-أولا-2-طباق سلب: وهو الجمع بين لفظ ومنفيه، مثل: "يعلمون" و "لا يعلمون" في قوله تعالى: " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ". وقولنا: جاء و لم يحضر.

2-ثانيا: أنواع الطباق على أساس نوع اللفظين المتضادين: وله ثلاثة أنواع هي:

2-ثانيا-1-الطباق الذي يأتي فيه اللفظان المتضادان اسمين، نحو: "الحي" و "الميت" في قوله تعالى: "يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ".

2-ثانيا-2-الطباق الذي يكون فيه اللفظان المتضادان فعلين، نحو: "تؤتي" "تنزع" و "تعز" "تذل" في قوله تعالى: "تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ".

2-ثانيا-3-الطباق الذي يكون فيه اللفظان المتضادان حرفين، نحو: "لها" و "عليها" في قوله تعالى: "لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ".

3-بين الطباق والمقابلة:

أدخل بعض من علماء البلاغة المقابلة في الطباق، ومن هؤلاء القزويني الذي قال: "ودخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة، وهو أن نؤتي بمعنيين متوافقين ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل"

وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به، ومن أمثلة ذلك:

1-قوله تعالى: "فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا".

2-قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيءٍ إِلَّا زَانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إِلَّا شَانَهُ".

3-قوله تعالى: "فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِرُهُ لِلْيُسْرَى

وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِرُهُ لِلْعُسْرَى".

مع العلم أن المقابلة أعم وأشمل من الطباق، لأن الطباق في الغالب يكون جمعا بين ضدين اثنين، أما المقابلة فتكون غالبا بجمع بين أربعة أضداد (أو أكثر)، ضدان في صدر الكلام، وضدان في عجزه، والأمر ذاته إن تعدى الجمع أكثر من أربعة أضداد.

4-أثر الطباق والمقابلة في الكلام:

الطباق والمقابلة فنان بديعيان خالصان، لهما تأثير خاص متميز في المتلقي، لأنهما يجمعان بين الأضداد لإنشاء صور ذهنية ونفسية متعاكسة يوازن فيها عقل المتلقي ووجدانه، فيتبين ما هو حسن منها ويفصله عن ضده، تاركا في الشعور آثارا عميقة بأسلوبها الموازن والمقارن.

ثانيا: الجناس

1-مفهوم الجناس:

أ/ لغة: الجناس والتجنيس والمجانسة والتجانس كلها ألفاظ مشتقة من الجنس، فالجناس مصدر جَانَسَ، والتجنيس تفعيل من الجنس، والمجانسة مفاعلة منه. قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: "الجنس لكل ضرب من الناس، والطير والعروض والنحو"، وقوله: "بهذا يجانس هذا أي يشاكله".

ب/ اصطلاحا: الجناس بين اللفظين هو تشابههما في اللفظ أي في التلفظ، ويعد الجناس عند جمهور البلاغيين من المحسنات اللفظية، إلا أن الجرجاني أكد دور هذا النوع في تصوير المعنى وتمكينه من العقل تعبيرا وتأثيرا، فقد قال: " أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا". وتتضح هذه المسألة في أن حقيقة الجناس هي أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا، أو: "أن تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه ويختلف معناهما".

2-أنواع الجناس: أقرّ علماء البلاغة أن الجناس ضربان هما:

2-1-الجناس التام: وهو اختلاف اللفظين في المعنى، واتفاقهما في أربعة أمور هي: أنواع الحروف، وأعدادها، وهيأتها، وترتيبها. نحو: قوله تعالى: " وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ"؛ فلفظة "الساعة" الأولى معناها يوم القيامة، ولفظة "ساعة" الثانية معناها وحدة قياس الزمن، واللفظتان متفقتان في أنواع الحروف، وفي عددها، وهيأتها، وترتيبها.

2-2-الجناس غير التام: وهو اختلاف اللفظين في المعنى، مع اختلاف في أمر واحد من الأمور التي بنت الجناس التام، والاتفاق في بقيتها. على هذا النحو:

أ/ اختلاف اللفظين في الهيئة ويسمى جناسا مُحَرَّفًا، مثل قوله تعالى: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ"، فلفظة (منذِرين) و (منذَرين) بينهما اختلاف في حركة حرف الذال.

ب/ اختلاف اللفظين في أعداد الحروف وهو ما يسمى جناسا ناقصا، مثل:

-قال تعالى: " وَٱلْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ"، اختلاف بزيادة حرف واحد (الساق / المساق).

-قالت الخنساء: إِنَّ البُكَاءَ هُو الشِّفَاءُ *** مِن الجَوَى بينَ الجَوانِحِ / اختلاف بزيادة أكثر من حرف واحد بين (الجوى / الجوانح).

ج/ اختلاف اللفظين في أنواع الحروف، ويشترط ألا يقع الاختلاف بأكثر من حرف واحد، مثل: قال تعالى: "وَهُمْ يُنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ"، اختلاف في نوع الحرف (ينهون) حرف الهاء، (ينأون) الهمزة.

د/ اختلاف اللفظين في ترتيب الحروف ويسمى جناس القلب، مثل:

-قلب الكل: قولهم "حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه"، اللفظان (فتح) و (حتف) لهما نفس الحروف غير أنها ليست على الترتيب نفسه.

-قلب البعض: قال "اللّهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا"، اللفظان (عورات) و (روعات) الحروف نفسها مع عدم ترتيب في بعض منها.

3-أثر الجناس في الكلام:

- ✓ تناسب الألفاظ في الصورة كلها أو بعضها، وهو مما يطمئن إليه الذوق ويرتاح له.
- ✓ التجاوب الموسيقي الصادر عن تماثل الكلمات تماثلا كاملا أو ناقصا، فيطرب الأذن ويهز أوتار القلوب.
- ✓ التلاعب الآخاذ الذي يلجأ إليه المتكلم لاجتذاب الأذهان والأسماع.